الفصل التاسع عشر:

أسباب النكبة من داخلها

عبد القادر ياسين

هل يمكن لمن كان ضمن المشرق أن يراه، مثل من كان خارجة؟!

لقد كتب الكثير عن أسباب النكبة الفلسطينية، من كتاب عرب، فلسطينيين، وغير فلسطينيين، على أن بعض من شاركوا في الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى، من ساسة وعسكر، أسهموا في كشف أوجه القصور، التي أوصلتنا إلى النكبة، والنسبة الأكبر ممن كتبوا في هذا الصدد، حرصوا على تبرئة ذواتهم، وتحميل الآخرين، مسئولية ما آلت إليه الأمور، لذا وجب التحذير.

هذا قومي عربي مستقل من فلسطين، شارك في الشأن السياسي، من خلال ارتباطه الحميم بالمفتي، وعبر الوفد الفلسطيني إلى الأمم المتحدة (١٩٤٧)، يعيد هزيمتنا في حرب ٤٨ إلى وقوع نسبة كبيرة من الدول العربية، تحت النفوذ البريطاني، فضلاً عن أن القوات العربية، لم تكن مؤهلة، أومدربة، ناهيك عن أنها لم تكن موحدة [١].

أما رئيس " النجادة*"، فأعاد الهزيمة العربية، في تلك الحرب، إلى

---

(١) هالة سليمان الأسعد (إعداد)، **واصف كمال، شاهد على قضية فلسطين وقضايا عربية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١، ص ٢٠٥، ٢٠٤.

(*) **النجادة**: أسسها وترأسها، محمد نمر الهواري، خريف ١٩٤٥، في سبيل " توحيد

اختلاف حكام العرب، على اقتسام الغنيمة، وتدخل الإنكليز، والأمريكان، وضغط مجلس الأمن، لتوقيع الهدنة الأولى. والارتجال في القتال، وعدم الاستعداد، رغم الوقت الكافي، والإمكانيات الواسعة. وغياب قيادة موحدة، والقتال المنفرد في الجبهات، والإقدام في مواطن الإحجام، والإحجام في مواطن الإقدام. وسوء النوايا، والتآمر الدنيء بين الدول العربية، بعضها البعض. وعدم الجد في القتال، والاستهتار بالعدو. وضعف روح الجندية في القوى العربية المقاتلة، وتغلب الساسة، وسيطرتهم على الميدان الحربي. وانهزام السياسة العربية، وانقيادها للإنكليز، وتباين أهدافها، وسيطرة الطبقة الرجعية الإقطاعية على العالم العربي، وتسخير جهود الأمة لمنافع الحكام الشخصية، وأنانيتهم واستئثارهم بالسلطة، وحبهم متاع الدنيا، من إشباع بطون، وإرواء شهوات، ونوم الطبقة الوسطى، وعدم مبادرتها لإنقاذ الموقف، بتنحية القادة. كل ذلك مقابل قوة الصهاينة، المادية، والمعنوية، والسياسية، والحربية، وروح التضحية، في الأفراد والزعماء [١].

لذا لم يكن غريبًا أن يدفع الغضب إلى إحباط صاحب هذه الرؤية، فيعود إلى فلسطين المحتلة، في ١٩٤٩/١٢/١٠، بتشجيع من الوفد

صفوف العرب، والعمل على نهوضهم "، عبر الرياضة، وإن تم تنظيم " النجادة " في صيغة شبه عسكرية، وحققت انتشارًا واسعًا سريعًا بين الشباب العربي الفلسطيني. ما أشعر المفتي، الحاج أمين الحسيني، بمزاحمتها، فاضطرت " النجادة " إلى الاتحاد مع " الفتوة "، التابعة للمفتي.

سميح شبيب، الحركة الشعبية الفلسطينية في عهد الانتداب البريطاني، **شؤون فلسطينية** (نيقوسيا)، العدد ٢٠٥، نيسان/ إبريل ١٩٩٠، ص١٩ - ٣٩.

(١) محمد نمر الهواري، **سر النكبة**، الناصرة، مطبعة الحكيم، ١٩٥٥، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

الإسرائيلي في مؤتمر لوزان!

فيما أعاد يساري فلسطيني مستقل - كان ضمن أعضاء " الهيئة العربية العليا**- الهزيمة العربية في حرب ١٩٤٨، إلى انجرار السياسات العربية، والقادة، والحكام العرب، وراء الاتجاهات والأزقة المسدودة، التي يزينها، ويدفعهم إليها الغرب، فيتورطون في معارك جانبية مع الصهاينة، مكنت المستعمرين، الإنجليز، والأمريكيين، والفرنسيين، المسيطرين على اقتصاديات البلاد العربية، والطامعين في ثرواتها، وفي المحافظة على هذه السيطرة، من عرض القضية الفلسطينية، وكأنها نزاع بين شعبيين، وصراع بين قوميتين، بدلاً من كونه صراع بين شعبٍ يريد التحرير، وتقرير مصيره بنفسه، وفق حق تقرير المصير، الذي أقرته كل الشرائع الدولية، وبين الاستعمار البريطاني، فيمهدون، بل يحمون قرار التقسيم، وهكذا وقعت الكارثة [1]. حصيلة الاستعمار البريطاني، وسياسته في فلسطين، وحصيلة الصهيونية، وحصيلة صعود النازية، وتدفق الهجرة، حتى بلغت نسبة اليهود - الصهاينة، ما يقارب ثلث السكان، وحصيلة النكبة التي أصابت اليهود في الحرب العالمية الثانية، وأخيرًا حصيلة الرجعية العربية التي سارت في ركاب الاستعمار البريطاني، وسياسة القيادة العربية الفلسطينية التقليدية. كل هذه العوامل مجتمعة أدت

(**) **الهيئة العربية العليا**: المؤسسة الجبهوية للأحزاب العربية الفلسطينية، وقد تأسست بتدخل من جامعة الدول العربية، ربيع ١٩٤٦، وإن وقعت هذه " الهيئة " تحت الهيمنة الكاملة لرئيسها، مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني.

(١) د. خليل البديري، **ستة وستون عامًا على الحركة الوطنية الفلسطينية وفيها**، القدس، منشورات صلاح الدين، ١٩٨٢، ص ١٥٥ - ١٥٦.

إلى التقسيم، وقيام الدولة اليهودية في القسم الأكبر من فلسطين [١].

عضو وطني في " الهيئة العربية العليا "، أشار بأسى، إلى وقف تسليح الفلسطينيين، والحيلولة دون تدريبهم، وتنفيذ رغبة الاستعمار، بإقصاء الشعب الفلسطيني، من زمام قضيته الوطنية، ومنعه من الجهاد في سبيل وطنه، إلى انخداع مسئولين عرب، آخرين، بوعود الإنجليز، وحلفائهم. بل وصل الأمر ببعض الحكومات العربية، حد بث دعاية مغرضة ضد الشعب الفلسطيني، ومجاهديه، فيما حرمت الرقابة على الصحف، في بعض البلاد العربية، الفلسطينيين، من الرد على تلك الدعاية! ناهيك عن منع رئيس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، مفتي فلسطين، الحاج أمين الحسيني من دخول فلسطين، وحجب المال، والسلاح، عن المجاهدين الفلسطينيين [٢].

عضو وطني عام آخر في " الهيئة العربية العليا "، رأى بأن رضوخ الجيوش العربية، بقبولهم الهدنة، وفر " فرصة الدهر " للصهاينة، " مكنت دولتهم، تمكينًا تامًا "، واستغلوا كل دقيقة في جلب السلاح، والعتاد، والطائرات، والمدافع، والطيارين، والجنود، والضباط، والقواد. أما الحكومات والجيوش العربية، فاكتفت بالاحتجاج والشكوى. إلى نفاق الإنكليز، وتراخى حكام العرب في السير الحربي، وإسرافهم في التطمينات المضللة لشعوبهم، حتى أن أحد هؤلاء الحكام نفى أن يكون

(١) حنا إبراهيم (إعداد)، **حنا نقارة، محامى الأرض والشعب**، عكا، دار الأسوار، ١٩٨٥، ص ١٥٤.

(٢) إميل الغوري، **المؤامرة الكبرى/ اغتيال فلسطين ومحق العرب**، ط ١ القاهرة، دار النيل للطباعة، ١٩٥٥، ص ٢٣٥ - ٢٤٢.

حكام العرب قبلوا الهدنة تحت ضغط إنكلترا، والأمم المتحدة، بل أن الدول العربية - برأيه قبلت الهدنة " وهى عالمة بأنها ستفوز، إن شاء الله، إن سلمًا وإن حربًا "، فيما زاد عليه رئيس وزراء لبنان، رياض الصلح " إن هذا القرار ليس إلا وقفًا لإطلاق النار، مدة معينة... وأن العرب يملكون ناصية الحال في فلسطين، ومركزهم من أمتن المراكز " ! أما جميل مردم، رئيس الوزراء السوري، آنذاك، فرأى أن " الهدنة فرصة جديدة لتسوية صحيحة " ! ولقد قيل - فيما قيل - على ألسنة مسئولين كبار، عسكريين، وسياسيين، إن العرب مالوا إلى الهدنة تحت ضغط قلة العتاد. وأعاد عضو " الهيئة " نفسه، عدم الاستعداد العسكري العربي، إلى بالغ الغفلة، والاستهتار، والانصراف التام عن فكرة استخدام الجيوش النظامية، في هذه الحرب. لقد دخلوا الحرب، وهم متيقنون من أن دخولهم لن ينقذ إلا الأقسام العربية. أما مابدا من تلكؤ، وتراخ، وارتباك، وارتجال، وغفلة، واستهتار، وضعف إعداد واستعداد، وفقد تضامن، وانسجام، فما هو إلا عَرَض لضعف البنية القومية العربية. لقد ذهب رجال اللجنة السياسية، للجامعة العربية، إلى أن مجرد زحف الجيوش العربية، بقطع النظر عن عددها، وعدتها، كانت لحمل الدول الكبرى على التدخل، وإيجاد حل، يرضى عنه العرب! وكانوا يقولون، صراحة، إنهم قد أعدوا لكل شيء عدة، وحسبوا لكل شيء حسابًا. فضلاً عن تقصير الحكومات العربية، الفادح، في تسليح أبناء الشعب الفلسطيني. ولعل ما يدعو للاستهجان، أن رئيس وزراء مصر، آنذاك، محمود فهمي النقراشي باشا، قال، في اجتماع اللجنة السياسية للجامعة

العربية، في عالية، في ١٩٤٧/١٠/٦: " إني أريد أن يكون معلومًا من الجميع، أن مصر، إذا كانت توافق على الاشتراك في هذه المظاهرة - أي الحشد على الحدود - فإنها غير مستعدة، قط، للمضي أكثر من ذلك ". ولأن النقراشي يتحدث باسم أكبر دولة عربية، فإنه يتحمل مسئولية أكثر من غيره. وأن كان صاحب هذه الآراء، لم يعف الإنكليز، من حصتهم في الجريمة، حيث استمروا في " دورهم اللئيم، أثناء الهدنة، وتسليمهم ميناء حيفا لليهود... آخر حزيران/ يونيو ١٩٤٨ "، ناهيك عن " شدة تمسكهم في عدم إمداد الجيوش العربية... ومساعيهم في عرقلة التسليح العربي " [١].

ما أن استشهد قائد " الجهاد المقدس "، عبد القادر الحسيني، في معركة القسطل (١٩٤٨/٤/٨) حتى بادر رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، آنذاك، الحاج أمين الحسيني، إلى تعيين ذى الكفل عبد اللطيف، صاحب الخبرة العسكرية الجيدة، ليحل محل القائد الشهيد، لكن أبناء عائلة الحسيني، احتجوا على هذا التعيين، مرددين " مات حسيني، يجب أن يحل محله حسيني " ! وحين علم الحاج أمين الحسيني، بالأمر هاج وماج، لكنه - بعد أن التقى أبناء عائلته - رضخ لطلبهم، وعين صلاح الحسيني - المعدوم الخبرة العسكرية - محل عبد القادر الحسيني. وكأن المسألة عائلية، أو وراثية، أو خلافة، على حد قول ذى الكفل عبدا

(١) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة**، ط١، الجزئين الرابع والخامس، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦١م، ص ١٦٢ - ١٧٣.

للطيف [1].

أما رأس الحركة الوطنية الفلسطينية، على مدى ثلاثينيات، وأربعينات القرن العشرين، الحاج أمين الحسيني، فقد رد على سؤال لرئيس تحرير يومية " المصري " القاهرية، أحمد أبو الفتح، مؤداه: ماهي الأسباب الرئيسية لكارثة فلسطين؟ وكان ذلك بعد نحو خمس سنوات من وقوع النكبة، أجاب الحسيني بأن الأسباب منها ما هو خارجي، ومنها ما هو داخلي، وهذه الأسباب بعضها قديم، وبعضها الآخر حديث. أما الأسباب الخارجية الرئيسية، فهي[2].

١- دوافع التعصب الديني الشديد عند اليهود، وإصرارهم على استعمار فلسطين، والاجتماع في بيت المقدس حول " الهيكل " (المكان الذي يقوم فيه المسجد الأقصى المبارك). ورفضهم إنشاء الوطن اليهودي في غير فلسطين.

٢- الشعور الروحي المتأثر بالتوراة عند الإنجليز، والأمريكيين البروتستانت، خاصة لما ورد فيها من تنبؤات، استغلها اليهود لمصالحهم، عن عودة اليهود إلى فلسطين.

٣- ما خلفته الحروب الماضية بين الشرق، والغرب، المعروفة بالحروب الصليبية، التي أثيرت فيها العواطف الدينية، وما تلاها من حملات الجيوش العثمانية، على شرق أوروبا، في نفوس كثير

(١) ذو الكفل عبداللطيف. **مذكراتي**، عجمان، دار سندباد للنشر، ٢٠٠٠، ص٢١٧ - ٢٢٦.
(٢) محمد أمين الحسيني، **حقائق عن قضية فلسطين**، ط٢، القاهرة، مكتب الهيئة العربية العليا لفلسطين، ١٩٥٦، ص ١٦٨ - ١٧٠.

من الشعوب الأوروبية، وغيرها، من أحقاد، وبغض عميق، ضد العرب والمسلمين عامة، مما حملها على الوقوف إلى جانب الحركة الصهيونية المتدثرة سياسيًا بالديانة اليهودية.

٤- توافق أهداف الاستعمار البريطاني، ومصالحه، مع أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين، ثم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية إليها، فيما بعد، وذلك لأن الاستعمار يرمي إلى:

- جعل الدولة الصهيونية في فلسطين، متكًا له، وخنجرًا مسمومًا يشهره في وجوه الدول العربية.
- حاجزًا يفصل الأقطار العربية، في آسيا، عن الأقطار العربية في إفريقيا. وعائقًا دون تقدم الأمة العربية، واحتمالات نهوضها.

أما الأسباب الداخلية، فأهمها [1] :

١- وهن في الأخلاق القومية، وضعفٌ في الأيمان بالقضية العادلة، والعزيمة الوطنية، وما انتشر في الأمة من الفوضى، وضعف التنظيم.

٢- الغفلة الشديدة عن تعرف مواطن الخطر المحدق بكيان الأمة العربية، والاستخفاف بالأخطار، استخفافًا ناشئًا عن الإهمال، وخور العزيمة، والغفلة، والاتكال، وعدم معرفة ما تنطوى عليه صدور الصهاينة، والمستعمرين. وقد كانت الدعاية الإنجليزية تعني خاصةً بتخدير المقامات العربية.

(١) **المصدر نفسه**، ص ١٧٣ - ١٨٧.

٣- ما نأى بهذه المقامات عن الجد والعزم في معالجة قضية فلسطين.

٤- لم يعن العالمان، العربي، والإسلامي، العناية الكافية، بقضية فلسطين.

٥- تخاذل بعض الدول العربية، واختلاف سياساتها، أثناء معركة فلسطين، فلم يقاتل العرب، ضعفًا، فأضاعوا الفرصة، بعدم تعاونهم على العدو، الذي لم يكن قويًا، يومئذ.

٦- إعداد الإنجليز، طوال مدة انتدابهم على فلسطين، ولاسيما أثناء الحرب العالمية الثانية، كافة الوسائل لتنظيم اليهود، وتدريبهم، وتسليحهم، وتهيئتهم لتسلم فلسطين، يقابل ذلك تجريدهم العرب من السلاح، وإرهاقهم، وإضعافهم، ليعجزوا عن الصمود في وجه اليهود.

٧- أدى الضغط الاستعماري إلى وضع القيادة العسكرية الفعلية للجيوش العربية في تحت قيادة الجنرال الإنجليزي جون باجوت جلوب، والذي أدار دفة المعارك، بما يوافق أهواء السياسة البريطانية، الضالعة مع الصهيونية.

٨- لم تتوفر لأصحاب العقد والحل العرب الدراسات السياسية، والعسكرية، والتاريخية، عن فلسطين، وعن مبلغ الخطر الصهيوني. كما أن بعضهم، فيمن أوكل إليهم أمر القيادة العسكرية، قد برهنوا على إهمال فاضح في الشئون العسكرية، فضلاً عن أنهم لم يدخلوا فلسطين، ولم يعرفوا شيئًا عن شئونها

الجغرافية، ومواقع الصهاينة العسكرية، وتحصيناتهم، وخطوط دفاعهم.

٩- توقيع الهدنتين، الأولى، والثانية، بين القوات العربية، وتلك الصهيونية، نتيجة ضغط إنجلترا، وأمريكا، على بعض الدول العربية. فيما كان العرب في موقع المنتصر.

١٠- الدعايات المضللة، والأراجيف الكاذبة، التي تغلغلت في الأقطار العربية، والتي كانت تذيعها المصادر الاستعمارية، والصهيونية، عن قوة الصهاينة، وضعف العرب، وما روجته دوائر المخابرات، الإنجليزية، والصهيونية، من إشاعات باطلة عن الفلسطينيين، وإلصاقها بهم أبشع التهم، تشويها لسمعتهم، ونزعًا للثقة منهم، ومن عدالة قضيتهم، وإبعادًا لما بينهم وبين إخوانهم العرب، من روح المودة، والتعاون على دفع العدو الغاصب عن فلسطين.

حين نشر رأس الحركة الوطنية الفلسطينية مذكراته، في الشهرية الناطقة بلسان " الهيئة العربية العليا "، " فلسطين "، طور أسباب النكبة، فحمل الجامعة العربية مسئولية كبيرة في صنع النكبة، بقطع الجامعة المساعدة المالية عن المقاتلين الفلسطينيين، بل إن تلك الجامعة وضعت يدها على ما تبرعت به الشعوب العربية، لهذا الصدد، ومنعته عن المقاومين، وعن القوات غير الحكومية المقاتلة.

كما أوقفت اللجنة العسكرية، التابعة للجامعة العربية، وترأسها العميد

طه الهاشمي، توزيع الأسلحة المقررة. بل إن تلك اللجنة صادرت الأسلحة التي اشتراها شعب لبنان، لشقيقه في فلسطين. كما أقدمت دول عربية على مصادرة مخازن الأسلحة، ومعامل إصلاحها، وتعبئة الذخيرة الخاصة بالمجاهدين الفلسطينيين، ناهيك عن إقدام الجامعة على نزع قضية فلسطين من شعبها. وقد كان الضغط الاستعماري العامل الأكبر في إرسال الجيوش العربية إلى فلسطين، بغرض إبعاد الشعب الفلسطيني عن المعركة، ونزع شوكته الشعبية المقاتلة، وخشية تفاقم حرب العصابات والفداء. وبعد أن يكرر رأس الحركة الوطنية الأسباب التي سبق أن رصدها للنكبة، انتهى إلى " أن قضية فلسطين هي، في حقيقتها، وأساسها، قضية دينية، قبل أن تكون قضية سياسية... فاليهود يعتبرونها قضية دينية " ! [1].

أسباب العسكر العرب

في مذكراته، أشار القائد العام للجبهة المصرية في حرب ١٩٤٨، اللواء أحمد فؤاد صادق باشا، ما ذكره له سلفه، اللواء أحمد المواوي، عن مظاهر التقصير، والتي حصرها في [2]

١- عدم تدريب جنود المشاة، ما أفضى إلى عجز ظاهر.

٢- غياب التسهيلات للقائد من أجل تدريب مشترك للوحدات.

٣- عدم إتاحة الفرصة للواء التدريب، لإتمام تدريبية، بل طلبت

(١) عبد الكريم عمر (إعداد)، **مذكرات محمد أمين الحسيني**، دمشق، دار الأهالي، ١٩٩٩، ص ٣٩٠- ٤٠٣.

(٢) **أخبار اليوم** (القاهرة)، ١٩٥١/١/١٣.

وحداته للقيام بأعمال تتعارض مع التدريب.

٤- عجز سلاح خدمة الجيش عن إمداد الوحدات بالعربات اللازمة.

٥- تلف عربات الفرسان، والدبابات الخفيفة.

٦- انتزاع العدو الإسرائيلي السيطرة الجوية، بعد الهدنة.

٧- قلة المدافع.

٨- إجبار المواوي على التقدم أكثر مما يجب، ما عرض خطوط مواصلاتة للتهديد.

٩- فصل مستعمرات الشمال عن مستعمرات الجنوب، اضطر الجيش المصري إلى احتلال الخط الممتد من أسدود إلى بيت لحم، بقوات غير كافية، ما أطال خطوط التموين.

١٠- ضعف الروح المعنوية عند أكثر الجنود، بسبب النقص الهائل في التسليح.

أما المفتش العام للجيوش العربية، العميد طه الهاشمي، الذي حمل القسط الأكبر في تقصير الجامعة العربية، ولجنتها العسكرية، في إمداد المناضلين الفلسطينيين، وقوات المتطوعين العرب بالسلاح، فقد أدلى بدلوه، بادئًا بالقول " إن القوات العربية لم تحارب، بالمعنى الصحيح " ! وأعاد نجاح الصهاينة في تأسيس دولتهم " إلى أسباب سياسية، لا لأسباب عسكرية " !، مضيفًا " إن السياسة، حينما تتدخل في توجيه القتال في الحرب، يخسر الجيش المعركة ". مستطردًا " إن الجيوش العربية لم

تشترك في قتال فلسطين بقوات كافية " ! فضلاً عن أن تلك الجيوش كانت " تحارب منفردة... من دون أن تخضع لقيادة عامة، تديرها حسب الخطة الحربية... من دون قيادة موحدة، من دون الاستناد إلى خطة حربية " ! واختتم الهاشمي تقديمه النقدي بالقول إن " الحركات التي سبقت الهدنة - إذا استثنينا حركات القوات المصرية - لم تكن عمليات تجرى لاستهداف أغراض عسكرية. وإنما كانت السياسة النفعية " [1].

لعل السؤال المشروع، الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا، هو: لماذا كل هذا التقصير المتعمد؟! وما لذى منع من تفادي النقص.

أما القائد الليبي، الذي وفد إلى فلسطين، وتولى قيادة المنطقة الجنوبية فيها، مدة غير قصيرة من حرب ١٩٤٨، فأوضح كيف أن اللجنة العسكرية، التابعة للجامعة العربية، عطلت تدريب أكثر من ألف شاب فلسطيني على السلاح، كانت " الهيئة العربية العليا لفلسطين " أرسلتهم إلى سوريا لتلقى التدريب في معسكر (قطنا) قرب دمشق، وجاء تصرف اللجنة العسكرية المستهجن هذا، بعد احتجاج تقدمت به حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين. كما لم ينس ذاك القائد الليبي التنديد بسياسة الجامعة العربية، الرامية إلى " إقصاء الفلسطينيين عن ميادين المعركة، ومنع الأسلحة، والأموال عنهم " [2].

في السياق نفسه، أخذ هذا القائد الليبي على القيادة العربية العامة أنها

(١) **الزمان** (بغداد)، ١٩٥٢/٥/١٥، أوردها: دروزة، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٦٨.
(٢) محمد طارق الإفريقي، **المجاهدون في معارك فلسطين (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م)**، دمشق، دار اليقظة العربية، د. ت.، ص ٢٤ - ٢٥.

لم تستلم المواقع، الاستراتيجية والتكتيكية، من المجاهدين، قبل المباشرة بالمعارك، لكي تسيطر تلك القوات على الأعمال العسكرية، لاحقًا، مما أدى إلى استيلاء الصهاينة على هذه المواقع، بمجرد انسحاب المجاهدين منها، مع كل ما فيها من مخازن للأسلحة، والذخائر، فسيطر الصهاينة على الأعمال الحربية، إلى نهاية الحرب. ولم يفت القائد نفسه الإشارة إلى خطيئة فقدان القيادة الموحدة للجيوش العربية، لتوحيد أعمالها، وتوجيه خططها، توجيهًا صحيحًا، إلى أهداف معينة. فضلاً عن عدم كفاية الاستعدادات " أمام العدو العنيد المجهز بأحدث الأسلحة، والآلات الحربية الفتاكة، والحائز على تأييد الدول الكبرى ". ناهيك عن إهمال " قيادة الجيوش العربية أمر المجاهدين في فلسطين، ولم توجه أعمالهم الحربية، للاستفادة منهم " [1].

قائد عسكري عربي آخر، من لبنان الشقيق، تلقى في صدره وظهره الكثير من الاتهامات، ولا أدرى ما إذا كانت أنظمة عربية بعينها قد حاولت أن تجعل منه " كبش فداء " ؟! أصدر مذكراته، واتهم الجميع، أغلب الظن ليبرئ نفسه. بدأ هذا القائد بالفزع من حمى المؤتمرات العربية، وكأن الأقطار العربية غدت في حالة " نفير عام "، فيما كان أغلب كبار المسئولين العرب، عسكريين، وسياسيين، مطمئنين " إلى أن حربًا لن تقع ". كما تأسى القائد نفسه من جهود الحاج أمين الحسيني " لعرقلة الأعمال، وتفريق الصفوف " ! فضلاً عن السماح لمراسلي الصحف الأجنبية، بالإطلاع على الأسرار العسكرية، ما شجعهم على بث

(١) المصدر نفسه، ص ٩٨ - ١٠٣.

الرعب في صفوف العرب بتأثير تهويل أولئك المراسلين في قوة العدو الصهيوني. إلى تحيز القوات البريطانية، وغرق العرب في الفساد، والفوضى، وافتقارهم إلى السلاح والعتاد، وغرق رؤسائهم في الأوهام. وأشار هذا القائد إلى ما سبق أن قاله له رئيس اللجنة العسكرية للجامعة العربية، اللواء إسماعيل صفوة: "... ولعل الجامعة (العربية) نفسها غير جادة في كثير مما تقرر وتقول"، كما ينزعج القائد العربي إبن لبنان من "العقلية التوفيرية الرخيصة"، وكأن "العتاد أغلى قيمة من الدماء"!، "إلي تعدد الرؤوس، والصلاحيات المتناقضة"، فضلاً عن أن الهدنة التي فرضها الأمين العام للجامعة العربية، عبد الرحمن عزام باشا، في ١٩٤٨/٥/٨، وفرت "فرصة لإيصال قوافل المؤن والذخائر إلى يهود القدس" المحاصرين. كما تلاعب بعض الرؤساء العرب بالخطة الرئيسية للجيوش العربية، قبل بدء المعركة. في الوقت الذي غرقت فيه هذه الجيوش في حالة من الرفاة، لم تعرفها في ثكناتها، أيام السلم، والأمة تلهو، وتطرب، ينتقل القائد نفسه إلى الجامعة العربية، التي شكا أمينها العام من معاناتها من التبعثر، ومن تفرق الكلمة، والتهرب من المسئوليات، والتخلف عن دفع الدول العربية ما سبق أن تعمدت به من أقساط مالية. وهذا رئيس وزراء العراق، آنذاك، "مزاحم الباجة جي" يوجه غضبة إلى الأمين العام للجامعة: "أنت يا عزام دبستنا بها الوحلة أنت لازم تنشلنا منها"! فيما حاول عزام البحث عن مخرج، فلم يفلح. ثم ما كان من تأسيس "حكومة عموم فلسطين" * وما سببته من حرج

(*) **حكومة عموم فلسطين**: التقى وجهاء فلسطينيون في غزة، في ١٩٤٨/١٠/١، في هيئة

لمصر، وللجامعة العربية، أمام الإنجليز! ويخلص القائد، نفسه، إلى أن دخول الجيوش العربية، لحرب ١٩٤٨، لم يكن إلا وكأنه مسألة رفع عتب " ! وينتهي القائد العربي المخضرم، إلى أن توقيع اتفاقات الهدنة في رودس " كأنما هو وثيقة ناطقة بأن إسرائيل قامت، واقعيًا، لاشرعيًا " ! وأن " الحكومات العربية دخلت إليها (فلسطين) ممثلة مستهترة، وخرجت منها واهمة، مذعورة " [١]

الاستنتاجات

لقد غرق العسكريون في نقاط الضعف العسكرية، فيما استغرق السياسيون، في النقاط السياسية، وأهمل الجميع الأساس الاقتصادي - الاجتماعي لهذا كله، فأوجه القصور، سياسية كانت أم عسكرية، هي نتائج، وليست أسباب، تمرض، وليست المرض.

حتى العسكريون، لم يلاحظوا، بأن الهزيمة كانت قرارًا رسميًا عربيًا، إذا كيف تدخل دول عربية الحرب لتهاجم بثلث قوات أعدائها، وسدس قوات الأعداء مضافًا إليها الإحتياطي؟! ناهيك عن جهل الجيوش العربية بطبيعة الأرض، وبالهدف الذي تقاتل من أجله (التكليف العسكري)، وتعارُض أرادات الدول العربية، التي دخلت الحرب،

مؤتمر وطني فلسطيني، سرعان ما انتخب حكومة، حملت اسم " حكومة عموم فلسطين " وترأسها أحمد حلمي عبد الباقي باشا، لكن النظام السياسي الرسمي العربي، عمل على تحنيط هذه الحكومة، منذ ولادتها. وقد نجح ذاك النظام، في مهمته هذه، أيما نجاح، لأسباب ذاتية، وموضوعية، لا يتسع المجال لذكرها هنا.

(١) خيرية قاسمية (إعداد)، **مذكرات فوزى القاوقجي**، ط٢، دمشق، دار النمير، ١٩٩٥، ص ٣٢١ - ٥٠٦.

ومبادرة بعض الجيوش العربية إلى سحب أسلحة المجاهدين الفلسطينيين، بمجرد دخول تلك الجيوش إلى فلسطين، بدل أن تستعين الجيوش بالمجاهدين والمحليين، وهم الأدرى بطبيعة الأرض، ونقاط ضعف العدو، على الأقل.

مع هذا كله، فلعل ما رصده المسئولون العرب، فلسطينيون، وغير فلسطينيين، من أسباب للهزيمة، والنكبة، يكمل ما بدأه باحثون عرب، في رصد هذه الأسباب. أما الحق، فيبدو أنه على الطليان!.

* * *